

ڪامل ڪيلاني

شهرزاد بنت الوزير



شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

تأليف
كامل كيلاني

صفحات

<http://www.safahat.org>

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

كامل كيلاني

موقع صفحات

جميع الحقوق محفوظة للناشر موقع صفحات
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن موقع صفحات غير مسئول عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٧٢٧٤٣١ ٢٠٢ + فاكس: ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢ +

البريد الإلكتروني: safahat@safahat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.safahat.org>

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لموقع صفحات.
جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Safahat.

All other rights related to this work are in the public domain.

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

(١) عَدْلُ شَهْرِيَارَ

كَانَ الْمَلِكُ «شَهْرِيَارَ» أَعْظَمَ مُلُوكِ عَصْرِهِ شَأْنًا، وَأَعَزَّهُمْ سُلْطَانًا.



وَقَدْ حَكَمَ شَعْبَهُ - فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ - حُكْمًا أَسَاسُهُ الْعَدْلُ؛ فَأَمَّنَ الْخَائِفَ، وَأَنْتَصَفَ
لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، وَسَهَرَ عَلَى رَاحَةِ الشَّعْبِ، وَشَجَّعَ الْعِلْمَ وَالْعُلَمَاءَ، وَلَمْ يَأُلْ جُهْدًا
فِي إِسْعَادِ شَعْبِهِ؛ حَتَّى أَطْلُقُوا عَلَيْهِ لَقَبَ: «حَارِسِ الْعَدَالَةِ».

(٢) عَدْرُ «بَهْرَمَةَ»

أَمَّا زَوْجَتُهُ «بَهْرَمَةُ»، فَكَانَتْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْهُ تَجْمَعُ بَيْنَ الْعَدْرِ وَالْخِدَاعِ، وَلَوْمِ الطَّبَاعِ.
وَلَمْ يَكُنْ يَعْدِلُ جَمَالَ هَيْئَتِهَا، وَحُسْنَ صُورَتِهَا، إِلَّا قَبِحَ سَرِيرَتِهَا (حُبْتُ نَيْتِهَا)، وَسُوءَ
سَرِيرَتِهَا. وَقَدْ سُمِّيَتْ «بَهْرَمَةَ»، وَمَعْنَاهَا: «زَهْرَةُ الْوَرْدِ»، أَوْ «جَمَالُ الزَّهْرِ».



وَلَوْ أَنْصَفُوا لَسَمَوْهَا: «شَوْكُ الْوَزِيرِ» أَوْ «زَهْرَةَ الشَّرِّ». فَقَدَ أَبِي عَلَيْهَا لَوْمٌ طَبِعِهَا،
إِلَّا أَنْ تَغْدِرَ بِرُوجِهَا.

(٣) ظُنُونٌ وَأَوْهَامٌ

وَلَمْ يَكُنْ «شَهْرِيَارُ» يَتَعَرَّفُ حَقِيقَتَهَا، وَيَطَّلِعُ عَلَى سِرِّهَا، حَتَّى أَذْهَلَتْهُ الْمَفَاجَأَةُ؛ فَتَمَلَّكَهُ
الْغَيْظُ، وَأَشْتَدَّ بِهِ الْحُزْنُ، حَتَّى كَادَا يُسْلِمَانِهِ إِلَى الْجُنُونِ.
فَانْقَلَبَ شَخْصًا آخَرَ، عَلَى الضَّدِّ مِمَّا كَانَ، وَتَحَوَّلَتْ وَدَاعَتُهُ شِرَاسَةً، وَحِكْمَتُهُ جَهْلًا،
وَحِلْمُهُ طَيْشًا، وَعَدْلُهُ ظُلْمًا، وَرَحْمَتُهُ قَسَاوَةً، وَدَكَوَاهُ عَبَاوَةً.



وَاسْتَوَى عَلَيْهِ الْوَهْمُ، فَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّ النِّسَاءَ كُلَّهُنَّ، مِثْلُ «بَهْرَمَةَ»: غَادِرَاتٌ، لَا عَهْدَ لَهُنَّ، وَلَا وِفَاءَ.
وَنَسِيَ أَنَّ طَبَائِعَ النَّاسِ — رِجَالًا وَنِسَاءً — تَخْتَلِفُ: فَمِنْهُمْ الطَّيِّبُ وَالْخَبِيثُ، وَالْوَفِيُّ وَالْغَادِرُ، وَالْأَمِينُ وَالْخَائِنُ، وَالْحَيُّ وَالشَّرِيرُ، وَالرَّجِيمُ وَالْقَاسِي.

(٤) غُولُ النِّسَاءِ

فَلَمْ يَكْتَفِ «شَهْرِيَارُ» بِقَتْلِ «بَهْرَمَةَ»، بَلْ عَزَمَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ بَنَاتِ جَنْسِهَا وَمُؤَاخَذَتِهِنَّ بِذَنْبِهَا، فَأَمَرَ وَزِيرَهُ «أَزَادَ» أَنْ يَخْتَارَ لَهُ - كُلَّ يَوْمٍ - فَتَاةً مِنْ حَسَانِ الْمَدِينَةِ، يَنْزَوِجُهَا لَيْلَةً، لَيْلَةً وَاحِدَةً لَا تَتَنَّى.



فَإِذَا طَلَعَ الصُّبْحُ أَمَرَ «أَزَادَ» بِقَتْلِهَا؛ لِيَنْجُوَ مِنْ عَذْرَاهَا، وَيَأْمَنَ مِنْ مَكْرِهَا. وَقَدْ أَصْبَحَ لَهُ ذَلِكَ الْقَانُونُ الْجَائِرُ شَرِيعَةً لَا يَحِيدُ عَنْهَا، وَلَا يَتَسَمَّحُ فِي مُخَالَفَتِهَا. فَلَا عَرَوْا إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَهْلِينَ الْخَوْفُ وَالْفَرَعُ، وَتَمَلَّكَهُمُ الرَّعْبُ وَالْهَلَعُ.

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

وَلَا عَجَبَ إِذَا أَطْلَقُوا عَلَيْهِ لَقَبَ: «عُورِ النِّسَاءِ»، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ لَقَبَ:
«حَارِسِ الْعَدَالَةِ».

(٥) الشَّقِيقَتَانِ

وَرَجَعَ الْوَزِيرُ «أَزَادُ» إِلَى بَيْتِهِ — نَاتَ لَيْلَةً — مَحْزُونًا مَهْمُومًا، لَا يَدْرِي كَيْفَ يَصْنَعُ
مَعَ ذَلِكَ الظَّالِمِ الْمُخْبُولِ.



شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

وَكَانَ لِـ«أَزَاد» بِنْتَانِ جَمِيلَتَانِ، كَلَّتَاهُمَا مَعْرُوفَةً بِرَجَاحَةِ الْعَقْلِ وَكَرِيمِ الْخِصَالِ.
اسْمُ الْكُبْرَى: «شَهْرَزَادُ»، وَاسْمُ الصَّغْرَى: «دِينَارَزَادُ». وَكَانَتْ «شَهْرَزَادُ» تَجْمَعُ بَيْنَ
الشُّجَاعَةِ وَالْأَلْمَعِيَّةِ وَحُبِّ الْحَيْرِ.



وَقَدْ طَهَّرَ اللَّهُ قَلْبَهَا مِنَ الْأَنَانِيَّةِ، وَمَيَّرَهَا — فِيمَا مَيَّرَهَا مِنْ شَرِيفِ الْخِلَالِ —
بِالْإِيثَارِ، فَلَمْ تَقْصُرْ فِي مُعَاوَنَةِ الْبَائِسِينَ، وَدَفَعِ الْأَذَى عَنِ الْمَظْلُومِينَ.

وَكَانَتْ — إِلَى ذَلِكَ — مَشْغُوفَةً بِالْقِرَاءَةِ وَالدَّرْسِ، دَائِبَةً لِإِطْلَاعِ عَلَى كُتُبِ التَّارِيخِ
وَالْأَدَبِ، دَائِمَةً الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيهِ فِي سَيْرِ الْمَاضِيْنَ، وَأَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ، فَلَمْ تَتْرِكْ شَيْئًا يَصِلُ
إِلَيْهِ عِلْمُهَا مِنْ نَفَائِسِ الْكُتُبِ، إِلَّا جَلَبَتْهُ إِلَى قَصْرِهَا، وَحَفِظَتْ رَوَائِعَهُ فِي صَدْرِهَا.

(٦) حَيْرَةُ «أَزَاد»

فَلَمَّا رَأَتْ أَبَاهَا مُسْتَسْلِمًا لِهَوَاجِسِهِ وَأَشْجَانِهِ، مُسْتَعْرِقًا فِي هُمُومِهِ وَأَحْزَانِهِ، اقْتَرَبَتْ مِنْهُ
مُسْتَعِظَةً، وَسَأَلَتْهُ مُتَلَطِّفَةً، لِتَعْرِفَ مَا حَزَنَهُ وَغَمَّهُ، وَأَقْلَقَ بَالَهُ وَأَهْمَهُ.



شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

فَرَوَى الْوَزِيرُ لِبِنْتِهِ قِصَّةَ «شَهْرِيَارَ» وَكَيْفَ سَاءَ طَبَعُهُ، وَتَغَيَّرَتْ حَالُهُ مِنَ الرَّحْمَةِ إِلَى الْقَسْوَةِ؛ فَرَأَحَ يَفْجَعُ النَّاسَ فِي بَنَاتِهِنَّ، وَيَقْتُلُ زَوْجَاتِهِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ، فَلَا تَكَادُ تُشْرِقُ شَمْسُ يَوْمِهِ، حَتَّى تَغْرُبَ مَعَهَا شَمْسُ حَيَاةِ زَوْجَتِهِ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَحْمَةً وَلَا شَفَقَةً.

(٧) نَوْرَةُ «شَهْرَزَادِ»

فَسَأَلْتُهُ «شَهْرَزَادُ» مُتَعَجِّبَةً: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟
وَمَا فَايِدَةُ الْعَقْلِ إِذَا لَمْ يُنْقِذْ بَيِّ الْإِنْسَانِ، وَيُخَلِّصَهُمْ مِنْ صُنُوفِ الضَّيْمِ وَالْهَوَانِ؟
أَلَيْسَ فِي الدَّوْلَةِ كُلِّهَا حَكِيمٌ شُجَاعٌ يَبْدُلُ لَهُ النَّصْحَ، لَعَلَّهُ يَكْفُ عَنْ هَدْيَانِهِ، وَيَقْلَعُ عَنْ طُغْيَانِهِ؟



فَقَالَ «آزادُ»: «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى نُصْحِ هَذَا التَّائِرِ الْمُحْبُولِ».
فَقَالَتْ «شَهْرَزَادُ»: «إِذَا اجْتَمَعَ الرَّأْيُ وَالشَّجَاعَةُ لِكَائِنٍ كَانَ، تَيْسَرَ لَهُ الصَّعْبُ
وَهَانَ.»

(٨) غَضَبَةُ الْوَزِيرِ

فَقَالَ لَهَا مُتَعَجِّبًا: «كَيْفَ تَقُولِينَ؟ لَقَدْ عَجَزَ حُكَمَاءُ الدَّوْلَةِ وَمُفَكَّرُوهَا عَنْ مُعَالَجَةِ
أَمْرِهَا!»

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

فَقَالَتْ «شَهْرَزَادُ»: «لَوْ أَدْنَيْتَ لِي - يَا أَبِي - فِي لِقَائِهِ، لَعَرَفْتُ كَيْفَ أَرْجِعُهُ إِلَى الصَّوَابِ، وَأَسْتَعِيدُ مَا فَقَدَهُ مِنَ التَّقَةِ بِبَنَاتِ جِنْسِي، وَأَكْفُ عَنْهُنَّ شَرَّهُ وَأَذَاهُ طُولَ الْحَيَاةِ.»



فَصَرَخَ الْوَزِيرُ مُفْرَعًا مِنْ شِنَاعَةِ مَا سَمِعَ، وَقَالَ: «أَيُّ هَدِيَانٍ تَنْطِقِينَ؟ وَبِأَيِّ عَقْلِ تَفَكَّرِينَ؟ وَعَلَى أَيِّ هَوْلٍ تُقَدِّمِينَ؟
لَقَدْ كُنْتُ - حَتَّى قُبَيْلَ هَذِهِ اللَّحْظَةِ - مِثَالَ التَّعَقُّلِ وَالْحِكْمَةِ.
فَمَا بَالُ الْحِمَاقَةِ وَالْغَفْلَةِ تَسْتَوْلِيَانِ عَلَيْكَ، وَتَطْوَحَانِ بِكَ فِي مَطَاوِحِ الْهَلَاكِ؟»

(٩) وَاجِبُ الْقَادِرِ

فَقَالَتْ لَهُ مُتَوَدِّدَةً بِاسْمَةٍ: «أَتَرَى — يَا أَبْتَاهُ — أَنَّ مِنَ الْحَمَاقَةِ وَالْغَفْلَةِ أَنْ يَبْدُلَ الْقَادِرُ جُهْدَهُ فِي مُسَاعَدَةِ الْعَاجِزِ؟ أَلَيْسَ مِنْ وَاجِبِ السَّابِحِ الْمَاهِرِ أَنْ يُنْقِذَ الْمَشْرِفَ عَلَى الْغَرَقِيِّ، وَلَوْ عَرَّضَ حَيَاتَهُ لِلتَّلْفِ؟



أَلَيْسَ مِنْ وَاجِبِ الطَّبِيبِ أَنْ يُكَافِحَ الطَّاعُونَ وَالْوَبَاءَ، دُونَ أَنْ يُنْبِئَهُ (يَرْجِعَهُ) عَنْ ذَلِكَ مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنَ الْمَخَاطِرِ؟
أَلَيْسَ مِنْ وَاجِبِ الْجُنْدِيِّ أَنْ يُجَابِهَ (يُؤَاجِهَ) الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ بِلَادِهِ؟

فَمَا بَالِي أَحْرِصُ عَلَى الْحَيَاةِ؟ وَكَيْفَ أُحْجِمُ عَنْ دَفْعِ الْأَدَى عَنْ بَنَاتِ جَنْبِي، وَأَنَا
قَادِرَةٌ عَلَى إِنْقَاذِهِنَّ؟
أَلَمْ تَقُلْ لِي مِنْ قَبْلُ: «إِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْإِنْسَانِ، مَا دَامَ الْإِنْسَانُ فِي عَوْنِ غَيْرِهِ؟»

(١٠) لُعَّةُ الْحَيَوَانِ

فَقَالَ لَهَا الْوَزِيرُ: «مَا أَبْلَغَ حُبَّتِكَ، وَأَعْظَمَ شَجَاعَتِكَ! وَلَكِنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافُهُ عَلَيْكَ، أَنْ
يُصِيبَكَ مَا أَصَابَ الْحِمَارَ حِينَ تَصْدَى لِإِنْقَاذِ صَاحِبِهِ التَّوْرَ، فَجُوزِي عَلَى صَنِيعِهِ شَرَّ
الْجَزَاءِ.»



فَقَالَتْ لَهُ مُتَعَجِّبَةً: «مَا سَمِعْتُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ قَبْلُ! وَمَا أَشْوَقَنِي إِلَى سَمَاعِهَا!»



فَقَالَ «أَزَادُ»: «عَاشَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ تَاجِرٌ مِنْ أَغْنِيَاءِ الرَّيْفِ، اسْمُهُ: «عَمَّارٌ»، عَلَّمَهُ صَاحِبٌ لَهُ مِنَ الْجِنِّ لُغَةَ الْحَيَوَانَ، بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ أَنْ يَكْتُمَ سِرَّهُ فَلَا يَبْوَحُ بِهِ لِكَائِنِ كَانَ، وَأَنْذَرَهُ بِالْهَلَاكِ إِذَا خَالَفَ مَا عَاهَدَهُ عَلَيْهِ.»

(١١) شَكْوَى النَّوْرِ

وَمَرَّ «عَمَّارٌ» — ذَاتَ يَوْمٍ — فِي دَسْكَرَتِهِ، عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ حِمَارٍ وَثَوْرٍ.

شَهْرَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

فَسَمِعَ النَّوْرُ يَقُولُ لِلْحِمَارِ شَاكِيًا مُتَأَلِّمًا: «مَا أَهْنَا بِأَلِك يَا عَزِيزِي، وَأَسْعَدَ عَيْشِكَ،
وَأَقْلَّ تَعَبِكَ!
لَقَدْ اجْتَمَعَ لَكَ كُلُّ مَا سِتَّتْ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ.



فَعِنْدَكَ خَادِمٌ يَزْعَاكَ لَيْلَ نَهَارٍ، وَلَا يَقْصُرُ فِي نِظَافَتِكَ وَخِدْمَتِكَ وَجَلِبُ مَا تُحِبُّ؛
مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ، وَطَعَامٍ سَائِغٍ. لَا يَقْدَمُ لَكَ الشَّعِيرُ وَالْفُولُ وَالنَّبْنُ إِلَّا مُغْرَبِلًا مُنْقَى.
وَلَيْسَ لَكَ مِنْ عَمَلٍ تُؤَدِّيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْمَلَ التَّاجِرَ إِذَا أَرَادَ النَّزْهَةَ.

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

أَمَّا أَنَا، فَأَلْقَى مِنْ جَالِبَاتِ التَّعَاسَةِ وَمُنْغَصَاتِ الشَّقَاءِ، عَكْسَ مَا تُلْقَاهُ أَنْتَ مِنْ
جَالِبَاتِ الطُّمَأْنِينَةِ وَأَسْبَابِ الْهِنَاءِ.

شَدَّ مَا اخْتَلَفَ الْقِسْمُ! وَشَتَّانَ بَيْنَ حَالَيْنَا! فَأَنْتَ تَنَامُ وَتَتَّصِحُّو كَمَا تَنْشَاءُ!
أَمَّا أَنَا فَلَا يَكَادُ الْفَجْرُ يَطْلُعُ حَتَّى يُوقِظَنِي الزَّارِعُ لِجَرِّ الْمَحْرَاثِ، وَإِدَارَةِ السَّاقِيَةِ
أَوْ الطَّاحُونَةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ مُرْهِقِ الْأَعْمَالِ.
فَإِذَا انْقَضَى الْيَوْمُ رَجَعْتُ إِلَى الْإِصْطِبَلِ، فَلَمْ أَجِدْ مِنَ الْغِذَاءِ مَا يَكْفِينِي.



شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

وَعِدَائِي — عَلَى قَلْتِهِ — عَيْرٌ مَعْنِي بِنِظَافَتِهِ؛ لَا يُعْرِبُهُ أَحَدٌ، وَلَا يُنْقِيهِ مِمَّا عَلِقَ بِهِ
مِنَ التُّرَابِ وَالْمَدَرِ (قَطَعَ الطِّينَ الْيَاسِسَ).

(١٢) نَصِيحَةُ الْجِمَارِ

وَسَكَتَ «أَزَادُ» قَلِيلًا.



ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى «شَهْرَزَادَ» مُسْتَأْنِفًا حَدِيثَهُ، قَالَ: «وَهَذَا تَأَلَّمَ الْجِمَارُ لِصَاحِبِهِ —
كَمَا تَأَلَّمَتْ أَنْتِ لِصَوَاحِبِكَ — وَقَالَ لِلثَّوْرِ مَحْزُونًا: «شَدَّ مَا حَزَّنْتَنِي شُكُوكَ، وَإِنْ كُنْتُ

لَا أُعْفِيكَ مِنَ اللَّوْمِ، عَلَى رِضَائِكَ بِالْهَوَانِ وَالضَّيْمِ، بِرَعْمٍ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ بَسْطَةِ
فِي جِسْمِكَ، وَوَفْرَةٍ فِي قُوَّتِكَ. وَلَوْ شِئْتَ الرَّاحَةَ لَمَا عَزَّتْ عَلَيْكَ، وَلَنْ تُعْوِزَكَ الْحِيلَةُ إِذَا
أَرَدْتَ الْخَلَاصَ. وَمَاذَا عَلَيْكَ إِذَا دَعَوَكَ إِلَى جَرِّ الْمِحْرَابِ، فَتَصَنَعْتَ الْمَرَضَ، وَتَظَاهَرْتَ
بِالضَّعْفِ، فَالْقَيْتَ بِجِسْمِكَ عَلَى الْأَرْضِ، كَأَنَّكَ خَائِرُ الْقَوَى، لَا قُدْرَةَ لَكَ عَلَى الْعَمَلِ؟
وَمَاذَا يَضِيرُكَ إِذَا تَظَاهَرْتَ بِالْجُنُونِ، وَرَحْتَ تَقْفِزُ ثَائِرًا، ضَارِبًا الْأَرْضَ بِأَرْجُلِكَ؟
وَهَيْهَاتَ أَنْ يُرْغَمُوكَ عَلَى الْعَمَلِ، فِي كِلْتَا الْحَالَيْنِ، مَهْمَا بَدَلُوا مِنْ جُهْدٍ».

(١٣) جَزَاءُ النَّصِيحَةِ

فَشَكَرَ الثَّوْرُ لِلْجِمَارِ نَصِيحَتَهُ.



وَعَادَ «عَمَّارٌ» إِلَى دَارِهِ مُتَعَجِّبًا مِمَّا سَمِعَ.
 ثُمَّ جَاءَ الزَّارِعُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِعَجْزِ النَّوْرِ عَنِ الْعَمَلِ لِمَرَضِهِ،
 فَأَذْرَكَ التَّاجِرُ أَنَّ النَّوْرَ قَدْ اسْتَمَعَ إِلَى نُصْحِ الْجَمَّارِ.
 فَأَمَرَ الزَّارِعَ أَنْ يَحُلَّ الْجَمَّارَ مَكَانَ صَاحِبِهِ فِي حَرْثِ الْأَرْضِ.
 فَكَانَ أَشْأَمَ يَوْمٍ لِقِيَةِ الْجَمَّارِ فِي حَيَاتِهِ.
 وَلَمْ يَكِدِ النَّهَارُ يَنْقُضِي، حَتَّى عَادَ الْجَمَّارُ الْمُسْكِينُ إِلَى زُرِّيَّتِهِ، خَائِرَ الْعَزْمِ،
 مُحَطَّمِ الْأَعْصَابِ، يَحْسَبُهُ مَنْ رَأَاهُ نِصْفَ مَيِّتٍ، أَوْ نِصْفَ حَيٍّ.

(١٤) سَكِينَةُ الْجَزَّارِ

وَلَمْ يَكِدِ الْجِمَارُ يَعُودُ إِلَى الْإِصْطَبِلِ، حَتَّى سَأَلَ النَّوْرُ: «كَيْفَ أَنْتَ الْيَوْمَ؟»



فَأَجَابَهُ رَاضِيًا مَسْرُورًا: «لَقَدْ أَرَحْتَنِي مِنَ الْعَمَلِ طَوْلَ الْيَوْمِ، فَمَا أَدْرِي كَيْفَ
أَشْكُرُكَ عَلَى نَصِيحَتِكَ الْبَارِعَةِ؟»
فَسَأَلَهُ الْجِمَارُ وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الْحُزْنُ، وَاشْتَدَّ بِهِ الضِّيقُ: «فَمَاذَا أَنْتَ صَانِعٌ غَدًا؟»
فَقَالَ النَّوْرُ: «لَقَدْ رَأَيْتُ — فِي نَصِيحَتِكَ الثَّمِينَةِ — خَيْرَ وَسِيلَةٍ لِهِنَاءَتِي وَرَاحَتِي.
وَلَنْ أُخَالِفَ لَكَ رَأْيًا بَعْدَ الْيَوْمِ.»



فَقَالَ الْجِمَارُ: «إِنَّ مَحَبَّتِي لَكَ تُحْتَمُّ عَلَيَّ أَنْ أَبْصَرَكَ بِمَوَاطِنِ الْأَخْطَارِ، قَبْلَ أَنْ
تَتَعَرَّضَ لَهَا، فَقَدْ آذَيْتَكَ مِنْ حَيْثُ أَرَدْتُ أَنْ أَنْفَعَكَ!»
فَسَأَلَهُ النَّوْرُ مُنْعَجِبًا: «كَيْفَ تَقُولُ آذَيْتَنِي؟ لَقَدْ أَرَحْتَنِي وَأَسْعَدْتَنِي!»
فَقَالَ الْجِمَارُ: «لَقَدْ سَمِعْتُ مَالِكَنَا التَّاجِرَ، يَقُولُ لِحَارِسِنَا الرَّارِعِ: «إِذَا لَمْ يُشْفَ
النَّوْرُ مِنْ مَرَضِهِ عَدًّا، فَاسْتَدْعِ لَهُ الْجَزَّارَ لِيذْبَحَهُ، لِنَنْتَفِعَ بِلَحْمِهِ، قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ بِهِ
الْمَرَضُ فَيَمُوتَ.»
فَارْتَعَبَ النَّوْرُ مِمَّا سَمِعَ، وَأَقْبَلَ عَلَى صَاحِبِهِ يَلْتَمِسُ مِنْهُ النَّصِيحَةَ لِلْخُرُوجِ مِنْ
هَذَا الْمَازِقِ.



فَقَالَ الْحِمَارُ: «الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَعُودَ إِلَى سَابِقِ عَهْدِكَ، فَتَقْبِلَ عَلَى الطَّعَامِ بِشَهِيَّةٍ،
وَتَنْشَطَ إِلَى عَمَلِكَ فِي صَبَاحِ الْغَدِ؛ حَتَّى تَأْمَنَ سَكِينَةَ الْجَزَارِ.»
فَشَكَرَ الثَّورُ لِلْحِمَارِ نَصِيحَتَهُ، وَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي قَبُولِهَا.

(١٥) عِنَادُ الزُّوجَةِ

وَسَمِعَ «عَمَّارٌ» حَوَارَهُمَا — وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ زَوْجَتِهِ «نَوَّارَ»، فَلَمْ يَتِمَّاكَ أَنْ اسْتَغْرَقَ فِي
الضَّحِكِ، مُتَعَجِّبًا مِنْ حِيلَةِ الْحِمَارِ، وَغَفْلَةِ الثَّورِ.



فَسَأَلَتْهُ «نَوَارُ»: «مِمَّ تَضْحَكُ يَا عَمَّارُ؟»

فَقَالَ لَهَا: «ذَكَرْتُ شَيْئًا فَضَحِكْتُ.»

فَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ، لِيُخْبِرَهَا بِجَلِيَّةِ الْأَمْرِ.

فَقَالَ لَهَا: «إِنَّهُ سِرٌّ اسْتَوْدَعَنِيهِ صَاحِبٌ لِي قَدِيمٌ مِنَ الْجَنِّ، لَا يَسْعُنِي مُخَالَفَتُهُ.

وَقَدْ أَنْذَرَنِي بِالْهَلَاكِ الْعَاجِلِ إِذَا بَحْتُ بِسِرِّهِ لِأَيِّ إِنْسَانٍ، أَوْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ كَائِنًا

كَانَ.»

وَهُنَا التَّفَتَّ «أَزَادُ» إِلَى فَتَاتِهِ «شَهْرَزَادَ»، وَهُوَ يَقُولُ: «كَانَتْ «نَوَارُ» مُتَشَبِّهَةً بِرَأْيِهَا.

وَلَمْ تَكُنْ أَقَلَّ مِنْكَ إِصْرَارًا وَعِنَادًا، فَأَبْتُ إِلَّا أَنْ تُرْغِمَ «عَمَّارًا» عَلَى الْإِفْضَاءِ لَهَا

بِسِرِّهِ، مُهِمَا تَكُنُ الْعَوَاقِبُ.»



وَاسْتَدْعَى الزَّوْجَانَ أَقَارِبَهُمَا الْأَدْنَيْنِ، وَاحْتَكَمَا إِلَيْهِمْ، فَأَجْمَعُوا عَلَى خَطَأِ «نَوَارٍ».
فَلَمْ تُدْعِنُ لِحُكْمِهِمْ، وَتَرَكَتُهُمْ مُغْضَبَةً حَانِقَةً، وَأَقْفَلَتْ بَابَ حُجْرَتِهَا عَلَيْهَا.

(١٦) حِوَارُ الدِّيَكِ

وَحَرَجَ «عَمَّارٌ» إِلَى دَسْكَرَتِهِ، لِيَرْفَهُ عَنْ نَفْسِهِ.
وَكَانَ فِي فِنَائِهَا دِيكٌ وَخَمْسُونَ دَجَاجَةً. وَكَانَ يَجْلِسُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهَا كَلْبُهُ الْأَمِينُ،
فَرَأَى الدِّيَكِ يَنْقُرُ إِحْدَى دَجَاجَاتِهِ، تَائِرًا مُغْتَاظًا.



وَسَمِعَ الْكَلْبَ يَنْهَاهُ عَنْ قَسْوَتِهِ، وَيَلُومُهُ عَلَى شَرَّاسَتِهِ قَائِلًا: «مَا أَجْدَرَكَ أَنْ تُقْتَدِيَ
بِأَخْلَاقِ مَالِكِنَا «عَمَّارِ» الَّذِي يَتَرَفَّقُ بِنَا، وَلَا يَقْسُو عَلَيْنَا، وَلَوْ أَسَانَا.»
فَلَا يَكَادُ الدِّيكُ يَسْتَمِعُ إِلَى نَصِيحَةِ الْكَلْبِ حَتَّى يَسْخَرَ مِنْهُ قَائِلًا: أُتْرِيدُنِي عَلَى أَنْ
أَقْتَدِيَ بِـ«عَمَّارِ» فِي لَبِنِهِ وَضَعْفِهِ!

أَيْنَ عَجْزُهُ مِنْ قُوَّتِي، وَاسْتِكَانَتُهُ مِنْ جُرْأَتِي؟
إِنِّي أَسُوسُ — بِحَزْمِي — خَمْسِينَ دَجَاجَةً، لَا تَجْرُؤُ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ عَلَى عِضْيَانِي.
أَمَّا «عَمَّارُ» فَيَعْجِزُ عَنْ سِيَاسَةِ «نَوَّارِ» وَحَدَّهَا، وَيَقِفُ حَائِرًا مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ أَمَامَ
حِمَاقَتِهَا وَعِنَادِهَا، وَلَا يَبَالِي أَنْ يَهْلِكَ فِي سَبِيلِ إِرْضَاءِ فُضُولِهَا.



وَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ مَكَانَهُ، لَعَرَفْتُ كَيْفَ أَقْوَمُ اعْوِجَاجَهَا!
فَقَالَ الْكَلْبُ: «وَمَاذَا كُنْتَ تَصْنَعُ يَا عَزِيزِي الدَّيْكَ؟»
فَقَالَ الدَّيْكَ: «كُنْتُ أَلْقِي عَلَيْهَا دَرْسًا قَاسِيًا لَا تَنْسَاهُ، وَلَا تُمَحِّي مِنْ قَلْبِهَا ذِكْرَاهَا!»
فَقَالَ الْكَلْبُ: «فَمَاذَا كُنْتَ صَانِعًا؟»
فَقَالَ الدَّيْكَ: «كُنْتُ أَهْرِيهَا (أَضْرِبُهَا بِالْهَرَاوَةِ، وَهِيَ الْعَصَا الْغَلِيظَةُ)، حَتَّى تَتُوبَ
إِلَى رُشْدِهَا، وَتَكْفَ عَنْ عِنَادِهَا، وَلَا تَعُودَ — بَعْدَ ذَلِكَ — إِلَى مِثْلِهَا.»



فَقَالَ الْكَلْبُ: «بِئْسَ مَا رَأَيْتَ يَا صَاحِبِي، إِذْ تُدَاوِي الْخَطَأَ بِخَطَأٍ مِثْلِهِ، وَتَدْفَعُ
الْسَّيِّئَةَ بِسَيِّئَةٍ مِثْلَهَا! إِنَّمَا يُدَاوَى الْخَطَأُ بِالصَّوَابِ، وَتَدْفَعُ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ.
وَلَنْ يُعَوِّزَ «عَمَارًا» - وَهُوَ رَاجِحُ الْعَقْلِ، بِارِعِ الْحِيلَةِ - أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذَا
الْمَازِقِ، دُونَ أَنْ يُعَرِّضَ حَيَاتِهِ لِلتَّلْفِ، أَوْ يُسِيءَ إِلَى زَوْجَتِهِ.»

(١٧) سِرُّ الْجَنِيِّ

لَمْ يَكُنْ «عَمَارًا» يَسْتَمِعُ إِلَى هَذَا الْحَوَارِ، حَتَّى لَاحَتْ لَهُ بَارِقَةٌ فِي الْخَلَاصِ مِنْ وَرَطْبَتِهِ.



فَدَخَلَ الْحُجْرَةَ، فَحَيًّا «نَوَارَ» وَهُوَ مُطْرِقٌ عَابِسٌ، كَأَنَّمَا يَفْكَرُ فِي خَطَرِ دَاهِمٍ.
 ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى «نَوَارَ»، وَهُوَ يَقُولُ فِي لَهْجَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الْحَيْرَةِ وَالْأَسْفِ، وَتَبَعَتْ
 الرَّعْبَ فِي الْقُلُوبِ: «هَلْمِي يَا «نَوَارَ»، لِأُطْلِعَكَ عَلَى السَّرِّ الْخَطِيرِ الَّذِي اسْتَوَدَعَنِيهِ الْجِنِّيُّ،
 وَنَهَانِي عَنْ إِدَاعَتِهِ. هَلْمِي وَلَا تَبْطِئِي فِي إِعْدَادِ الْكَفَنِ، قَبْلَ بَدَأِ الْحَدِيثِ؛ فَلَنْ أَلْفِظَ آخَرَ
 حَرْفٍ مِنْهُ حَتَّى أَلْفِظَ آخَرَ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِ الْحَيَاةِ مَعَهُ.»



فَلَمَّا رَأَتْهُ جَادًا فِي طَلَبِ الْكُفَنِ سَرَتِ الرَّعْدَةَ فِي جِسْمِهَا، وَسَأَلَتْهُ مُضْطَرِبَةً: «وَمَنْ
الَّذِي يَقْتُلُكَ؟»

فَقَالَ: «وَهَلْ يَقْتُلُنِي غَيْرُ الْجَنِيِّ الَّذِي اسْتَوَدَعَنِي سِرَّهُ؟»
فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ «نَوَارُ» تَسْأَلُهُ مُتَحَيِّرَةً: «كَيْفَ؟ ... وَهَلْ يَحْضُرُ الْجَنِيُّ إِلَيْنَا؟ وَلِمَاذَا؟»
فَأَجَابَهَا «عَمَّارٌ»، وَقَدْ جازَتْ عَلَيْهَا حِيلَتُهُ: «إِنَّمَا يَقْتُلُنِي الْجَنِيُّ جَزَاءً مُخَالَفَتِي
عَهْدَهُ!»

وَلَا تَسْأَلِي عَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا مِنَ الْفَرَعِ حِينَ تَمَثَّلَتِ الْجَنِّيَّ قَادِمًا، وَهُوَ يَهُمُّ بِقَتْلِ
رُوجِهَا أَمَامَهَا، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَقْتُلَهَا هِيَ أَيْضًا.

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

فَأَقْبَلَتْ «نَوَارَ» عَلَى رُوجِهَا «عَمَّارٌ» نَادِمَةً مُتَحَسِّرَةً، تَائِبَةً مِنْ ذَنْبِهَا مُسْتَغْفِرَةً،
مُتَوَسِّلَةً إِلَيْهِ أَنْ يَحْتَفِظَ بِسَرِّ الْجَنِّيِّ، فَلَا يَبُوحَ بِهِ لِأَحَدٍ.



وَلَمْ يَكُنْ «آزَادٌ» يَنْتَهِي مِنْ قِصَّتِهِ، حَتَّى اتَّفَقَتْ إِلَى «شَهْرَزَادَ» قَائِلًا: «لَقَدْ بَحَثْتُ
عَنْ حِيلَةٍ أُخَوِّفُكَ بِهَا، كَمَا احْتَالَ «عَمَّارٌ» عَلَى رُوجِهَا، فَلَمْ أَهْتِدِ إِلَى شَيْءٍ. فَمَا أَنْتِ مِمَّنْ
تَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ، كَمَا جَازَتْ عَلَى تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْغَافِلَةِ نَوَارَ.»

(١٨) الْغَزَالَةُ وَالْأَسَدُ

فَقَالَتْ «شَهْرَزَادُ»: «قُرَّ عَيْنًا يَا أَبَتَاهُ، فَلَنْ يُصِيبَنِي مَكْرُوهٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

وَلَنْ أَكُونَ كَالْحِمَارِ الَّذِي أَشْقَى نَفْسَهُ، وَعَجَزَ عَنِ انْقِاذِ صَاحِبِهِ؛ وَلَا مِثْلَ «نَوَارِ»
الَّتِي أَقْحَمَتْ نَفْسَهَا فِيمَا لَا يَعْنِيهَا.
إِنَّمَا أَكُونُ كَالْغَزَالَةِ الَّتِي حَلَّصَتْ - بِحِيلَتِهَا - بَنَاتِ جِنْسِهَا، مِنَ الْأَسَدِ، وَأَنْقَذَتْهُنَّ
مِنَ الْهَلَاكِ.»



فَسَأَلَهَا «أَزَادُ»: «وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟»
فَقَالَتْ «شَهْرَزَادُ»: «عَاشَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْغَزْلَانِ، فِي رَاحَةٍ وَأَمْنٍ
وَاطْمِئْنَانٍ.»

ثُمَّ وَفَدَ عَلَيْهِنَّ أَسَدٌ، فَأَشْفَاهُنَّ، وَنَعَّصَ عَيْشَهُنَّ. فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُنَّ عَلَى أَنْ يَتَوَجَّهْنَ
إِلَيْهِ بِاقْتِرَاحٍ، إِذَا رَضِيَ بِهِ أَمَّنَهُنَّ.
وَكَانَ قَدْ أَجْمَعْنَ عَلَى أَنْ يَقْتَرِعْنَ — كُلَّ يَوْمٍ — فِيمَا بَيْنَهُنَّ، ثُمَّ يَبْعَثَنَّ بِمَنْ تَقَعُ
عَلَيْهَا الْقُرْعَةُ — فِي صُحْبَةِ رَسُولٍ مِنْهُنَّ — لِتَكُونَ طَعَامَ الْأَسَدِ طَوْلَ يَوْمِهِ.



فَابْتَهَجَ الْأَسَدُ لِاقْتِرَاحِهِنَّ ... وَدَاوَمْنَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا. ثُمَّ وَفَدَتْ عَلَيْهِنَّ — مِنْ بَعْضِ
الْوُدَيَانَ الْقَرِيبَةِ — غَزَالَةً نَكِيَّةً.
وَلَمَّا عَلِمَتْ قِصَّتَهُنَّ مَعَ الْأَسَدِ سَخِرَتْ مِنْهُنَّ، مُتَعَجِّبَةً مِنْ عَجْزِهِنَّ، وَسُوءِ رَأْيِهِنَّ.

وَقَالَتْ لَهُنَّ فِيمَا قَالَتْ: «لَقَدْ اسْتَوَى الْخَوْفُ عَلَى قُلُوبِكُنَّ، فَهَرَبْتُنَّ إِلَى الْمَوْتِ، حَوْفًا
مِّنَ الْمَوْتِ.»
فَقُلْنَ لَهَا: «فَكَيْفَ نَنْتَقِي بِطُشِّ الْأَسَدِ، وَآيُّ حِيلَةٍ تُشِيرِينَ بِهَا عَلَيْنَا يَا أُخْتَنَا
الْغَزَالَةَ، لِنَسْتَجْلِبَ رِضَاهُ، أَوْ نَكْفَّ عَنَّا أَنَاهُ؟»



فَقَالَتْ لَهُنَّ: «لَا تَبْعَثْنَ إِلَيْهِ عَدَا بِأَحَدٍ غَيْرِي؛ لَعَلِّي أَبْلُغُ بِحِيلَتِي مَا لَا يَبْلُغُهُ الْأَسَدُ
بِقُوَّتِهِ.»

(١٩) حِيلَةُ الْغَزَالَةِ

فَلَمَّا جَاءَ الْغَدُ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ الْغَزَالَةُ وَحَدَّهَا مُتَبَاطِئَةً، فَلَمْ تَصِلْ إِلَى عَرِينِهِ (بَيْتِهِ) إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَمَلَّكَهُ الْغَضَبُ، وَلَوْعَهُ الْجُوعُ.
وَلَمْ يَكِدِ الْأَسَدُ يَرَاهَا حَتَّى سَأَلَهَا: «لِمَاذَا تَأَخَّرْتِ عَنِ مَوْعِدِ الْغَدَاءِ؟»



فَقَالَتْ لَهُ: «لَقَدْ حَدَّثَ الْيَوْمَ - يَا مَوْلَايَ - مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ؛ فَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ صَوَاحِبِي بِغَزَالَةٍ مَعِيَ لِتَأْكُلَهَا. وَلَمْ أَكِدْ أَبْلُغُ مُنْتَصَفَ الطَّرِيقِ، حَتَّى لَقِينِي أَسَدٌ فِي مِثْلِ سَطْوَتِكَ وَقُوَّتِكَ.»

وَحَاوَلَ أَنْ يَغْنَصِبَ الْغَزَالَهَ مِنِّي، فَحَدَّرْتُهُ بِطَشِكَ وَانْتِقَامَكَ، فَسْتَمَنِي وَشَتَمَكَ، وَكَادَ يَفْتِكُ بِي، فَهَرَبْتُ إِلَيْكَ، مُسْتَجِدَّةً بِكَ.»
 فَانْحَدَعَ الْأَسَدُ بِحِيلَتِهَا، وَسَأَلَهَا: «أَيْنَ مَكَانُ هَذَا الْعَاصِبِ السَّفِيهِ؟»
 فَمَشَتْ الْغَزَالَهَ وَالْأَسَدُ يَتَّبِعُهَا، حَتَّى بَلَغَا عَيْنَ مَاءٍ عَمِيقَةً صَافِيَةً.
 وَنَظَرَ الْأَسَدُ فَرَأَى حَيَالَهُ وَحَيَالَهَا فِي الْمَاءِ، فَأَيَقَنَ صِدْقَ مَا حَدَّثَتْهُ بِهِ.
 وَقَفَرَ عَلَى ظِلِّهِ غَاضِبًا لِيَفْتِكَ بِصَاحِبِهِ، فَغَرِقَ فِي الْحَالِ.
 وَنَجَّتِ الْغَزَالَهَ وَصَوَّاحِبُهَا، بِفَضْلِ رَجَاحَةِ عَقْلِهَا، وَبِرَاعَةِ حِيلَتِهَا.



شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

وَلَنْ يَكُونَ «شَهْرِيَارُ» أَقْوَى صَوْلَةً مِنَ الْأَسَدِ، وَلَا «شَهْرَزَادُ» أَقَلَّ شَجَاعَةً مِنَ
الْغَزَالَةِ.

(٢٠) حُجَّةٌ مُقْنِعَةٌ

وَإِذَا كَانَتِ الْغَزَالَةُ قَدِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُغْرِقَ — بِحِيلَتِهَا — غُولَ الْوُحُوشِ فِي الْمَاءِ، فَإِنِّي
قَادِرَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى إِغْرَاقِ غُولِ النِّسَاءِ فِي عُجَابِ (سَيْلِ) مِنَ السُّحْرِ، يَمَلَأُ قَلْبَهُ رَحْمَةً
وَحَنَانًا، وَيُبَدِّلُهُ بِقَسْوَتِهِ وَبَطِيشِهِ أَمْنًا لَصَوَاحِبِي وَأَطْمِئِنَّا.
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى فِطْنَتِكَ — يَا أَبَتِ — أَنَّ مَا يُبْدِيهِ «شَهْرِيَارُ» مِنْ قَسْوَةٍ وَعُنْفٍ،
لَيْسَ مَرْجِعُهُ إِلَى طَبْعِ لَيْمٍ، بَلْ هِيَ لَوْثَةٌ مِنَ الْخَبَالِ الْعَارِضِ فَاجَأَتْهُ، حِينَ غَدَرَتْ بِهِ
رَوْجَتُهُ وَحَانَّتُهُ.



وَلَوْ أَنَّهُ لَقِيَ نَاصِحًا أَمِينًا، شُجَاعًا حَكِيمًا، يَضْرِبُ لَهُ بَارِعَ الْأَمْثَالِ، لَنَفَعَهُ بِنُصْحِهِ وَهَدَايَتِهِ.

وَلَعَلَّهُ لَوْ عَتَرَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْوَفِيَّةِ الرَّاشِدَةِ لَسَكَنَ إِلَيْهَا، وَأَنَسَ بِهَا، وَعَادَ سِيرَتَهُ الْأُولَى مِنْ رَحْمَةٍ وَإِحْسَانٍ، وَعَدْلٍ وَحَنَانٍ.

وَلَكِنْ تَعَجَزَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ، عَنْ شِفَاءِ مَرِيضِ النَّفْسِ مِنْ دَائِهِ، إِذَا وَفَّقَنِي اللَّهُ إِلَى تَصْوِيرِهِمَا لَهُ، فِي أَسْلُوبٍ قَصَصِيٍّ مُمْتِعٍ جَدَّابٍ، وَعَرَضِهِمَا عَلَيْهِ فِي مَعْرِضٍ بَارِعٍ أَخَادٍ.»

وما زالت «شَهْرَزَادُ» تُحَاوِرُ أَبَاهَا، حَتَّى أَقْنَعَتْهُ بِسَدَادِ حُجَّتِهَا، وَصِحَّةِ رَأْيِهَا.

(٢١) زَوْجُ «شَهْرَزَادَ»

فَذَهَبَ «آزَادُ» إِلَى مَلِيكِهِ وَرَفَعَ إِلَيْهِ رَغْبَةَ بِنْتِهِ «شَهْرَزَادَ» فِي تَزْوُجِهِ.



وَلَا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ الْمَلِكِ مِمَّا سَمِعَ؛ فَقَدِ انْتَفَتَ إِلَى وَزِيرِهِ مُتَحَيِّرًا، وَقَالَ: «أَلَسْتَ
عَارِفًا بِمَصِيرِ ابْنَتِكَ بَعْدَ الزَّوْاجِ؟
أَلَا تَعْلَمُ أَنَّي أَمْرُكَ بِقَتْلِهَا غَدًا، كَمَا أَمَرْتُكَ بِقَتْلِ غَيْرِهَا مِنْ قَبْلُ؟»
وَدَارَ بَيْنَهُمَا جَوَارٌ طَوِيلٌ، انْتَهَى بِقَبُولِ الْمَلِكِ زَوَاجَهَا، بَعْدَ أَنْ أَنْذَرَ أَبَاهَا بِإِهْلَاكِهَا،
كَمَا أَهْلَكَ مَنْ سَبَقْنَهَا.



أَمَّا «شَهْرَزَادُ» فَقَدْ فَرِحَتْ بِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهَا، وَلَمْ تُضِعْ وَقْتَهَا؛ فَنَادَتْ «دِينَارزَادَ»
 أُخْتَهَا، وَقَالَتْ لَهَا: «إِنِّي مُقَدِّمَةٌ — يَا أُخْتَاهُ — عَلَى أَمْرِ جَسِيمٍ، لِتَحْقِيقِ غَايَةِ نَيْبِلَةٍ.
 وَسَيَكُونُ لِي — فِي بَرَاعَتِكَ — مُخْلِصٌ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ وَنَجَاةٌ.»
 ثُمَّ أَفْضَتْ إِلَيْهَا بِدُخْلَتِهَا، وَأَطْلَعَتْهَا عَلَى تَفْصِيلِ خُطَّتِهَا.

(٢٢) حِيلَةٌ بَارِعَةٌ

وَلَمْ يَكُنْ «شَهْرِيَارُ» يَرَاهَا حَتَّى بَهَرَهُ جَمَالُهَا وَثَبَاتُهَا.

وَلَمْ يَكُذِّبْهَا حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُ رَجَاحَةُ عَقْلِهَا، وَأَصَالَةُ رَأْيِهَا، فَهَشَّ لَهَا وَبَشَّ.



فَانْتَهَزَتِ الْفُرْصَةَ، وَقَالَتْ لَهُ: «مَا أَسْعَدَنِي بِمَا ظَفِرْتُ بِهِ مِنْ شَرَفٍ لَا يُدَانِيهِ شَرَفٌ، إِذْ أَتَاخُ لِي الْحِظُّ السَّعِيدُ أَنْ أُمَّثُلَ فِي حَضْرَةِ مَلِكِ الْمُلُوكِ!
وَلَيْسَ لِي — بَعْدَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهَذَا الشَّرَفِ — إِلَّا أَمْنِيَّةٌ، مَا أَظُنُّ مَلِيكِي الْعَظِيمَ يَضُنُّ عَلَيَّ بِتَحْقِيقِهَا.»

فَسَأَلَهَا عَمَّا تُرِيدُ، فَقَالَتْ لَهُ مُتَوَدِّدَةً: «إِنَّ لِي أُخْتًا لَا أُطِيقُ فِرَاقَهَا. فَهَلْ يَأْذَنُ الْمَلِيكُ فِي إِحْضَارِهَا إِلَى قَصْرِهِ لِأَنْعَمَ بِرُؤْيَيْتِهَا وَالْحَدِيثِ إِلَيْهَا فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ عُمْرِي؟»

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

فَلَمْ يَتَرَدَّدِ الْمَلِكُ فِي إِجَابَةِ مُلْتَمَسِهَا الْهَيْنِ الْيَسِيرِ. وَكَانَتْ «شَهْرَزَادُ» — كَمَا قُلْتُ لَكَ — قَدْ رَسَمَتْ لِأُخْتِهَا: «دِينَارزَادُ» طَرِيقَ النِّجَاةِ مِنْ بَطْشِ صَاحِبِهَا، فَأَوْصَتْهَا — فِيمَا أَوْصَتْهَا بِهِ — أَنْ تُوَقِّظَهَا مِنَ النَّوْمِ قُبَيْلَ الْفَجْرِ، تَسْأَلُهَا أَنْ تَقْصَّ عَلَيْهَا شَيْئًا مِنْ قِصَصِهَا الْمُتَمَتِّعَةِ، لِتَنْعَمَ بِحَدِيثِهَا، فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ حَيَاتِهَا.



وَلَمَّا أَشْرَفَ اللَّيْلُ عَلَى نِهَائِيَّتِهِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَّا سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ، أُيْقِظَتْ «دِينَارزَادُ» أُخْتَهَا «شَهْرَزَادُ»، وَهِيَ تَقُولُ: «إِذَا لَمْ تَكُنْ أُخْتِي الْعَزِيزَةُ نَائِمَةً رَجَوْتُهَا أَنْ

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

تَقَصَّ عَلَيَّ رَائِعَةً مِنْ قِصَصِهَا الشَّائِقِ الْمُبْدِعِ، الْحَبِيبِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ، قَبْلَ أَنْ تَفَارِقَنِي
إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ، وَأُحْرَمَ - إِلَى الْأَبَدِ - سَمَاعَ صَوْتِهَا الْحَنُونِ.
فَأَجَابَتْهَا «شَهْرَزَادُ»: «مَا أَسْعَدَنِي بِتَلْبِيَةِ رَجَائِكَ - يَا أختَاهُ - إِذَا أَدْنَى لَنَا فِي
ذَلِكَ مَلِكُنَا الْعَظِيمِ.»
فَلَمْ يَتَرَدَّدْ «شَهْرِيَارُ» فِي إِجَابَةِ مُلْتَمَسِهَا.
فَانْتَهَزَتْ هَذِهِ الْفُرْصَةَ الْمُوَاتِيَةَ، فَرَأَتْ تَقْصُ عَلَيْهِ أَمْنَعَ قِصَصِ الْحَيَاةِ.



وَأَدْرَكَ «شَهْرَزَادَ» الصَّبَاحُ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ أَتَمَّتْ قِصَّتَهَا الْجَدَّابَةَ؛ فَاضْطُرَّ الْمَلِكُ أَنْ
يُوجَلَ قَتْلَهَا إِلَى اللَّيْلَةِ الْقَادِمَةِ، حَتَّى يَسْتَمِعَ إِلَى خِتَامِ الْقِصَّةِ وَيَنْعَرَفَ نَهَايَتَهَا.

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ صَنَعَتْ «شَهْرَزَادُ» مَا صَنَعَتْهُ فِي لَيْلَتِهَا الْمَاضِيَةِ.
وَهَكَذَا كَانَتْ «شَهْرَزَادُ» تَعْمِدُ - كُلَّ لَيْلَةٍ - إِلَى قَطْعِ حَدِيثِهَا فِي مَوَاقِفَ جَدَّابَةِ
مَنْ قَصَصِهَا، لِتُرْغِمَهُ عَلَى الْإِبْقَاءِ عَلَى حَيَاتِهَا إِلَى لَيْلَةٍ قَادِمَةٍ، رَيْئِمَا تَبْتِمُ الْقِصَّةَ.
وَمَا زَالَتْ تَنْقُلُ الْمَلِكَ مِنْ فِتْنَةٍ إِلَى فِتْنَةٍ، وَمِنْ إِبْدَاعٍ إِلَى إِبْدَاعٍ، فِي أُسْلُوبِ قَصَصِيٍّ
رَائِعٍ جَدَّابٍ، حَتَّى انْقَضَى عَلَى زَوَاجِهِمَا أَلْفُ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ.
وَكَانَتْ قَدْ أَنْجَبَتْ مِنْهُ فِي أَثْنَائِهَا وَلَدَيْنِ، وَأَسْتَوْلَتْ عَلَى إِعْجَابِهِ وَتَقْتِهِ؛ بِمَا آتَاهَا
اللَّهُ مِنْ أَصَالَةِ حِكْمَةٍ، وَرَجَاحَةِ عَقْلِ، وَصِدْقِ وَفَاءٍ.



شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

فَلَمْ يُطِقْ فِرَاقَهَا، وَعَاشَ مَعَهَا أَسْعَدَ عَيْشَةٍ.

(٢٣) خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَكَانَتْ هَذِهِ الْحَيَلَةُ الْبَارِعَةُ سَبَبًا فِي خَلَاصِهَا وَخَلَاصِ بَنَاتِ جِنْسِهَا مِنَ الْهَلَاكِ.



وَهَكَذَا تَمَّ لَهَا التَّوْفِيقُ، فَحَسَنَتْ رَأْيَهُ فِي النِّسَاءِ، بِمِقْدَارِ مَا قَبَّحَتْ «بِهَرْمَةَ» رَأْيَهُ فِيهِنَّ. وَعَادَ «شَهْرِيَارُ» إِلَى عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَرَفَقَهُ وَحَنَانِهِ؛ فَأَحَبَّهُ شَعْبُهُ، وَأَفْتَتَنَ بِهِ، وَلَهَجَ بِشُكْرِهِ.

شَهْرَزَادُ بِنْتُ الْوَزِيرِ

وَقَدْ اشْتَدَّ إِعْجَابُهُ بِرُؤُوسِهِ، وَإِكْبَارُهُ لَهَا، فَكَافَأَهَا بِتَزْوِيجِ أُخْتِهَا «دِينَارِزَادَ» بِأَخِيهِ
«شَاهُ زَمَانٍ»: مَلِكِ «سَمَرْقَنْدٍ».

وَهَكَذَا عَرَفَتْ «حَبِيبَةُ الشَّعْبِ» كَيْفَ تَجْلِبُ السَّعَادَةُ لَهَا وَلِأُخْتِهَا وَأَبِيهَا، وَبَنَاتِ
جَنَسِهَا وَدَوِيهَا، بَعْدَ أَنْ فَتَنَتْ زَوْجَهَا بِمَا أَوْدَعَتْهُ مِنْ قِصَصِ سَاحِرٍ، وَحَدِيثِ بَاهِرٍ،
أَسْلَمَهُ إِلَى عَالَمِ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ، وَالْبَهْجَةِ وَالْبَهَاءِ، لَا كَمَا أَسْلَمَتِ الْغَزَالَةُ صَاحِبَهَا الْأَسَدَ
إِلَى عَالَمِ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ، بَعْدَ أَنْ قَذَفَتْ بِهِ إِلَى قَرَارِ الْمَاءِ.